شخصا آخر

بقلم : ابراهيم مجاهد الجزائري المحامي

ماكان يود ان يخرج مساء الامس من منزله .

لقد قرر ذلك بصورة قطعية ، جازمة منذ الصباح فاستراح نوعاما عن تبكيت الضمير .

قرر أن يحبس نفسه في منزله ذلك المساء وفي الامسيات المقبلة كذلك ، حتى تنال نفسه منه قصاصها جزاء وفاقا .

ولكن ماكادت الشمس تغيب وراء الافق وتهبط الظلمة على الكون ، حتى أخذ يشعر بما يشبه الكسوف في تفكيره ! والخسوف في قلبه ! .

***

نهض قائماً من على مقعده ومنقضاً على نفسه كالغريق قبل ان يرسب في القاع ، قاع تفكيره وشعوره ، مرددا قائلا « وماسكا بيديه جنبه ورأسه » :

ماذا اعتراني : ماذا اعتراني !

كلا ! اني سوف لا اخرج من هذا المكان ، اني محبوس هاهنا — في هذه الغرفة . .

ثم خطى نحو الباب وادار المفتاح فيه ، حابساً نفسه بالفعل وقد رمى بها فوق المقعد كشيء من الاشياء .

***

وما شعر الا والباب يطرق ! . . وصائح بخوف وجزع يصيح له — زوجه من وراء الباب تكلمه :

— افتح الباب ، افتح الباب ! . لماذا انت موصده على نفسك في مثل هذا الوقت ؟ !

فما كان منه الا ان نهض وفتح الباب بيده اليسرى ، واليمنى على جبينه ودون ان ينظر اليها او يجاوب رجع مرتمياً على مقعده ، مكباً على وجهه وحاملا بين يديه رأسه

***

— هل انت مريض ؟ .

لماذا لاتجيب ؟ .

قل لي — بحقك — مابك ؟ .

في النهار اليوم ، كنت في حالة طيبة . فماذا اعتراك في هذا المساء ؟ !

ولماذا — انت — جالس على هذا الشكل المريع ، في العتمة — والظلام ؟ !

***

ومشت بحوز الكهرباء وبعد ماأضاءت الغرفة وفحصتها بنظرة خاطفة ، عادت وركعت عند قدميه تعيد عليه الاسئلة بقلق ودموع : . رافعة بيدها اليمنى ، من تحت ذقنه ، رأسه ووجهه المنكب على صدره ! وبانا على الثانية لامسة شعره ! ومحدقة به ، وملحة عليه بالسؤال لاخذ الجواب . .

***

— ان بي ، صداعا ، صداعا ثقيلا . قد أعتراني الساعة فجأة والآن قد زال .

ونهض من على كرسيه واقفاً . ومكباً عليها معانقاً ومقبلا — كأن لم يكن به شيء !

ولكنها هي قد ظلت مشككة في تشخيص المرض — ذلك الصداع العجيب الذي اضطره الى ان يوصد بالمفتاح عليه ، باب غرفته في منزله حبيساً . .

***

. . واذ جاءت الخادمة بكوب من عصير الليمون تناولتها منها وقدمتها له ، ثم بعد لحظة ، القهوة واشعلت له سيجارته وفيما هو يدخن ويقهى قالت له [في دلال آمل آيس] : ارجوك ياعزيزي ! ان تظل هذا المساء ، عندنا هنا ولا تذهب الى النادي . وها انا ذاهبة لاهي لك — بيدي هاتين — منذ الآن ، على مائدتك في الحديقة طعامك والشراب ومن حسن التصادف ان والدي قد بعث لنا اليوم بهدية نفيسة : ثلاث فراخ من السمك — باربوتيا . — من ذلك الذي يحبه قلبك وقد وصلت الساعة مغمورات بالثلج وكأنها قد اخرجت — تازة — توا من البحر .

سأشوي ، لك الاثنين ، شيأ ومن الثالث الكبير سأصنع

لك – بيدي هاتين « طراطوراً » كما تحب وتشتهي .

***

وبينما هي والخادم مشغولتان في الحديقة باعداد المائدة وتجميلها وتزيينها باجمل مافي [اليوفة] من اوائل واواني وما في الحديقة من زهر وورد لدعوة زوجها — صاحب البيت — الذي في حياته العائلية منذ سبع سنوات سيجلس للمرة الثانية الى المائدة وزوجته ! . واذا بها تراه ، مقبلا نحوها بزته الخارجية – كالعاده مستعجلا وقائلا – [معتذراً]:

— اني دعوت الاساتذة اصدقائي الذين جاؤا من دمشق للاشراف على فحوص البكالوريا ، الى النادي — الساعة — في هذا المساء لتناول العشاء – فعفواً . .

وخرج مسرعا من باب الحديقة ، مارا كالسهم .

***

ولكن ، ما كاد يقطع مسافة قليلة عن منزله في اتجاه الشارع ، حتى اخذت خطاه ، في سيره تتردد . . وقدماه كأنها لاتريد ان تحمل جسمه . الى الموضع الذي اعتاد في مثل هذا الوقت من كل مساء ان يؤمه . والذي من اجله في هذا الصباح قرر ان يحبس في المنزل نفسه .

يعلم ان ذلك الموضع — المكان والمكين – لايليق به ووجوده هناك ، خطر عليه ، على سمعته ، على شرفه وحتى على حياته . ويتعجب كيف سلم الى اليوم منه بشرفه وحياته يعلم كل ذلك ويعرفه حق المعرفة ولاسيما في كل صباح حينما يستفيق من نومه من نوم غفلته ومن الكابوس الذي يعتريه في الليل والرؤى المزعجة التي يراها . .

***

ولكن في هذا الوقت من كل مساء ، يهون له الشيطان شيطان نفسه كل المخاوف ، واذا رأى منه تردداً اوفلسفة يدحضها له ، بمغالطاته الشيطانية وبتمويلاته وتزييناته حتى يقنعه فيتبعه .

يتبعه الى ذلك الموضع الطيل – كنظل له – اويجره جرا اليه كشيء من الاشياء — كما وقع واتفق له في هذا المساء

ولكن في هذا المساء — عينه — وفي الطريق ، رأى الشيطان منه — من صاحبه ، فريسته — مالم يك يتوقع . رأى منه انه قد امس شخصاً آخر شخصا آخر ، ذا ارادة لاتقهر . . .

حلب : ابراهيم مجاهد الجزائري

القادم العظيم

نظم هذا الموشح أحد الاعلام اليوم عند قدوم سماحة آية الله الحجة الاكبر الامام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء من ايران وقد خص [البيان] بها .

يا حكيم الاسلام اهلا وسهلا فلقد ازهرت بك الفيحاء

ملأت فيك بهجة وحبوراً وهناء وغبطة وارتياحا
واكتست من أغر وجهك نورا وبهاء ورونقا وصلاحا
واستهلت فيها علينا سروراً ديم البشر تمطر الافراحا
واستقلت من السماء محلا طأطأت رأسها له الجوزاء

كم تمنت ترى محياك حلماً أو يعي ماتقوله في المنام
من خطاب يفيض رشدا وعلما لصوادي العقول والافهام
او عظات تبث في الناس سلما فرضته شريعة الاسلام
تحتسيها الاسماع علا ونهلا فتغيض الشحناء والبغضاء

قد مددنا لك الرقاب صراطا وهتفنا لوجهك المحبوب
وفتحنا لك الصدور اغتباطا فسبكنا النفوس بالترحيب
وفرشنا حر الخدود بساطا ونثرنا عليك حب القلوب
واتخذنا عظيم هديك ظلا يحتفي المجد فيه والعلياء

سرت بدراً لمشرق الانوار حيث شمس الجلال والتقديس
زائراً ثم زورة الابرار بضعة من محمد في طوس
ليس بدعا فعادة الأقمار بالسرى تستمد ضوء الشموس
فلتعش للورى عظيما ومولى ولتمت في حقودها الاعداء

لست ادري ماذا يقول أديب في معاني علاك وهي الوف
عالم مصلح أديب خطيب عبقري مجاهد فيلسوف
خلق فاضل وصدر رحيب ويد ثرة وقلب عطوف
طبت في المكرمات فرعا واصلا (ليت شعري ماتصنع الشعراء)